



إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 - 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022



شهيد القلم الأديب أحمد رضا حوحو ونضاله الوطني الإصلاحي

*The martyr of the writer Ahmed Reda Houhou
and his national reform struggle*

د / الكاملة فرحات

مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

جامعة الوادي (الجزائر)

ferhat-kamla@univ-eloued.dz



ملخص: خضعت الجزائر للاستعمار الفرنسي 1830م الذي قابلته الجزائريون بصرامة تعبيراً عن رفضهم له، لكن سرعان ما تراجعته صورة المقاومة المسلحة للفوارق الكبيرة في تجهيز الطرفين العسكري، إلا أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال تقبل الجزائريين للمحتل، وإنما تم تغيير وسيلة المجاهدة إلى المقاومة السلمية والتي عمت مختلف ربوع الوطن وإن تفاوتت في حدتها، والجنوب الشرقي كان له حضوره في هذا المجال عبر النخب الوطنية التي حملت على عاتقها الدفاع عن الوطن وتشريح الظاهرة الاستعمارية وكشف دسائسها والعمل حثيثاً للتخلص منها. ومن أشهر رجالات الإصلاح الذين برزوا في الجنوب الشرقي نجد الأديب والمصلح أحمد رضا حوحو إذ يعد علماً بارزاً إقليمياً ووطنياً لما قدمه خلال مسيرته ونشاطه دفاعاً عن وطنه المقهور من خلال كتاباته وخطبه التي ميزتها الشمولية في معالجة الشرائح الاجتماعية، والتنوع في الأسلوب كدلالة عن براعة الأديب وحنكته وصرامة موقفه من الاستعمار الأمر الذي سيكلفه حياته.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مشوار الأديب والمصلح أحمد رضا حوحو ومعرفة مصادر تكوينه ثم إبراز محطاته النضالية وأهم ما قامت عليه أفكاره الإصلاحية، ومن أهم النتائج المتوصل إليها في دراسة مسيرة الأديب أحمد رضا حوحو هي التكوين المخضرم الذي حظي به الأديب ووطنياً ومشرقياً، الأمر الذي سيصقل موهبته الإصلاحية المعبر عنها من خلال كتاباته ونشاطاته المختلفة.

الكلمات المفتاحية: النضال؛ الإصلاحي؛ شهيد؛ الأدب؛ المقاومة الفكرية.

Abstract :

Algeria underwent French colonialism in 1830 AD, which the Algerians met fiercely as an expression of their rejection of it. However, the image of armed resistance soon receded due to the great differences in the preparation of the military parties. However, this is by no means the Algerians' acceptance of the occupier. Rather, the method of confrontation was changed to peaceful resistance, which Pervaded in

different parts of the country, even if it varies in And the southeast had its presence in this field through the national elites who took upon themselves the defense of the homeland, dissecting the colonial phenomenon, exposing its intrigues and working hard to get rid of it. Among the most famous men of reform who emerged in the southeast, we find the writer and reformer Ahmed Reda Houhou, who is considered a prominent regional and national scholar for what he presented during his career and activities in defense of his oppressed homeland through his writings and speeches, which were characterized by comprehensiveness in dealing with social groups, and the diversity of style as an indication of the writer's ingenuity and sophistication And the strictness of his position on colonialism, which will cost him his life.

This study aims to reveal the career of the writer and reformer Ahmed Reda Houhou and to know the sources of his formation, then to highlight his struggle stations and the most important foundations of his reformist ideas. He will refine his reformist talent, which is expressed through his writings and various activities.

Keywords: struggle; reformist; reformist ; literature; intellectual resistance.

1. مقدمة

الجزائر أمة لها أصالتها وشخصيتها منذ القدم، وبمقدم الاحتلال الفرنسي وضع نصب عينيه طمس تلك الشخصية، وعمل جاهدا لمحو معالمها عبر إجراءات وأساليب عديدة تصدت لها جماعة الإصلاح في مختلف مناطق الوطن بما فيه الجنوب الشرقي الذي ظهرت فيه فئة حملت على عاتقها مشروع المحافظة على الثوابت الشخصية للأمة الجزائرية نذكر منهم أحمد رضا حوحو، هذه الشخصية الفذة في نشأتها ونشاطها، الأمر الذي يوجهنا لطرح الإشكالية التالية: من هو أحمد رضا حوحو؟ وما الدور الذي لعبه في المسار الإصلاحي؟.

2. التعريف بالأديب أحمد رضا حوحو:

يعتبر أحمد رضا حوحو من أهم الشخصيات الجزائرية العلمية المعاصرة التي كان لها دور كبير في مقاومة الاستعمار الفرنسي، فقد عمل جاهدا من خلال كتاباته القصصية والصحفية والأدبية على محاربة كل أشكال الخنوع والطمس الممارس من قبل الإدارة الاستعمارية على المقومات الشخصية للشعب الجزائري، وبذلك رسم معلما من معالم المقاومة الثقافية والفكرية والأدبية، كونه معلما وكاتبا ومصالحا في كل مواقع المقاومة التي حل بها¹.

وقد ولد الأديب أحمد رضا حوحو في بلدة سيدي عقبة بيسكرة سنة 1911م، وفي هذه البلدة نشأ وترعرع في كنف عائلته، حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة العربية على يد شيوخ

1- يوسف قنفود وامحمد دراوي: محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية، مجلد 5، العدد 1، جوان 2021م، ص 266.

بلدته، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية في سن السادسة من عمره، وتعلم اللغة الفرنسية ومبادئها وتحصل على الشهادة الابتدائية في سنة 1922م أو 1923م، ثم واصل تعليمه التكميلي بالفرنسية في مدينة سكيكدة وتحصل على شهادة الأهلية (البروفي) في سنة 1928م، ولأمر ما لم يتابع تعليمه الثانوي وعاد إلى بلدته ليستغل في البريد والمواصلات². وفي سنة 1934م هاجر إلى الحجاز مع والديه وأخوته وزوجته، ليستقر هناك بالمدينة المنورة التي أتم بها أحمد حوحو معلوماته العربية في معهد العلوم الشرعية وتحصل على شهادته العليا سنة 1938م بامتياز ليعين مدرسا فيه لتفوقه على أقرانه، وفي سنة 1940م عين في إدارة البريد بمكة المكرمة.

ومن الحجاز انطلق نشاطه الفكري والأدبي في أول مقال نشره عام 1937م في مجلة "الرابطة العربية" بالقاهرة وكان بعنوان "الطرقية في خدمة الاستعمار"، وواصل الكتابة بعد ذلك في مجلة "المهمل" السعودية المكية، حيث ظهرت له فيها عدة مقالات ومترجمات أدبية واجتماعية وبعض القصص والبحوث منها على سبيل المثال: "هل يأفل نجم الأب؟"، ابن الوادي، الأديب الأخير، كما كان يترجم لهذه المجلة ما يروق له من الأدب الفرنسي³.

وفي سنة 1945م رجع أحمد رضا حوحو من الحجاز إلى الجزائر بعد وفاة والديه، وبمجرد استقراره في وطنه انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واستقر بمدينة قسنطينة، وعمل مديرا بها لمدرسة التربية والتعليم الإسلامية التي تعد أم المدارس الإصلاحية بالقطاع الشرقي، ثم انتدب لإدارة مدرسة شاطودان سابقا (شلغوم العيد حاليا) التابعة لجمعية العلماء لفترة قصيرة ثم تولى منصب الكاتب العام لمعهد ابن باديس سنة 1947م، وانتخب عضوا عاملا في المجلس الإداري لجمعية العلماء، وعضو في مكتب لجنة التعليم العليا التي تشرف على كداس الجمعية للتعليم العربي الحرب بعد تكوينها سنة 1948م، وظل يعمل أمين عام للمعهد الباديسي إلى أن متعه الله بالشهادة⁴.

وفي سنة 1949م توجه إلى باريس ممثلا للجزائر للمشاركة في المؤتمر العالمي للسلام الذي انعقد في باريس ضد الحرب، ثم قام بعدها برحلة طويلة خلال صيف سنة 1950م ضمن وفد جزائري منتخب إلى الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وإيطاليا، كتب عنها في جريدة "الشعلة"⁵ عدة حلقات من عدد 40 إلى 54، وكانت هذه المقالات بعنوان

2- محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة رضا حوحو 1911 - 1956. وزارة الثقافة والسياحة مديرية

الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1984م، صص 8 - 11.

3- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، صص 8-13.

4- نفسه، صص 14-15.

5- جريدة الشعلة 1949-1951م: أسسها أحمد رضا حوحو في 15 ديسمبر 1949م وهي جريدة أسبوعية مستقلة عن البصائر، وترأس تحريرها طوال فترة صدرها التي دامت سنتين، فكانت لسال حال الشباب الجزائري، تخاطبهم على قدر عقولهم، فكانت تكتب بالفصحى والعامية، وتميزت بلهجتها الحادة

"عدت من الاتحاد السوفياتي"⁶. ومنذ أن انضم حوحو لجمعية العلماء المسلمين وعين أميناً عاماً لمعهد الشيخ ابن باديس بقسنطينة الذي تأسس سنة 1947م، وبذلك وجد نفسه معلماً مصلحاً، ليُسخر قلمه وجهده الأدبي والفكري في سبيل رسالة الإصلاح والتغيير المنشود⁷، فعالج من خلال كتاباته موضوعات مختلفة كمواجهة الاستعمار الفرنسي، ومهاجمة الطريقة مستفيداً من مطالعته المتنوعة، إلى جانب تجاربه التي اكتسبها من رحلاته المتعددة، وقد أبهره ما تتمتع به تلك الشعوب من حقوق وحرّيات بينما يحرم أبناء وطنه من أدنى الحقوق، هذا الأمر جعله يبرع في كتابته مستفيداً من رحلاته⁸. فكان أحمد رضا حوحو يهتم بالكتابة في جريدة "البصائر"⁹ لسان حال جمعية العلماء المسلمين، وكانت مواضيع مقالاته فيها أدبية واجتماعية وسياسية متنوعة بعناوين مغرية جذابة. كما كان يكتب في جريدة "الشعلة" لسان حال شبيبة العلماء، وفي هاتين الصحيفتين اشتهر الأديب حوحو عند الجزائريين والشمال الإفريقي عامة، كأديب صحفي ناجح وناقد اجتماعي¹⁰.

وكان هدفه مما قدم من كتابات هو محاولة إصلاح بعض العادات الاجتماعية الفاسدة المتواطئ عليها من قبل عامة الشعب في الحجاز وفي الجزائر، والثورة على واقع متخلف كبّله الجهل والجمود والخرافة والدجل حتى ظل المجتمع يرصف في تقاليد بالية ومفاهيم عفى عنها الزمن، عاقته عن العمل الجاد والانتاج المثمر، وشلت طاقته عن الخلق والإبداع، في ذلك العهد الاستعماري البغيض¹¹ الذي عاش حوحو قساوته، ولذلك حمل على عاتقه رسالة سامية تتلخص في ضرورة النهوض بالأمة، ونفض غبار النذل والهوان والتطلع إلى حياة كريمة، حياة الحرية والسيادة الوطنية¹². واستمر قلم أحمد رضا حوحو

وسخرتها العنيفة في مهاجمة الاستعمار والطريقة والجمود في السياسة الداخلية، وتميزت بسخط حوحو على شريحة النواب من خلال مهاجمتهم على صفحات الجريدة، معتبرهم أداة الاستعمار التي تضرب بها مصالح الأمة، وبسبب عدائها الشديد للسياسة الفرنسية وتهجمها المتواصل على الإدارة تم توقيف الشعلة من طرف السلطات الاستعمارية بتاريخ 8 فيفري 1951م. ينظر: يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، صص 272 - 273.

6- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 17.

7- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، ص 268.

8- وسيلة الخميسات والعيد جلولي: التجربة النقدية عند أحمد رضا حوحو، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، المجلد 13، العدد 3، التاريخ 2021/09/15م، ص 294.

9- للمزيد حول جريدة البصائر، ينظر: سكينه العايد: أحمد رضا حوحو صحفياً - دراسة وصفية وتحليلية المنشورة في الصحافة الجزائرية (البصائر - الشعلة)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، مجلد 35، عدد 1، السنة 2021م، صص 1067 - 1068.

10- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 18.

11- محمد الصالح رمضان: نفسه، صص 30 - 31.

12- وسيلة الخميسات والعيد جلولي: مرجع سابق، ص 295.

ونضاله إلى أن استشهد يوم 29 مارس 1956م، بعدما تم اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية من منزله ليودع بسجن الكدية، ومنه حول إلى جيل الوحش على مشارف مدينة قسنطينة، وأعدم هناك رفقة مجموعة من وجهاء قسنطينة. ويمكن القول أن ما عرض حوحو للتصفية لجانب تأييده للثورة ودعمه لها هو قلمه الذي طالما خطَّ به الانتقادات اللاذعة لسياسة الإدارة الفرنسية¹³.

3. أسلوبه الإصلاحي من خلال إنتاجه الفكري

1.3، المقالات الصحفية:

لقد كان الأدباء الجزائريون عموما يسبرون في ركاب جمعية العلماء وينادون بدعوتها ويدافعون عن مبادئها ويناثون أعداءها، هادفين إلى خدمة الإسلام والعربية والوطن، وكان أحمد رضا حوحو من كتّاب الإصلاح في الجزائر الذين يكتبون المقالات الصحفية والأدبية لهذا الغرض¹⁴، وقد وجد أحمد رضا حوحو في الصحافة مجالا خصبا من مجالات الانتاج الفكري والأدبي، فمن خلال المقالات أخذ يعالج المستجدات والوقائع والأمراض الاجتماعية، ومن خلال المقالات السياسية عالج قضايا الوطن والوطنية وتنبه إلى مخاطر الاستعمار وأهدافه، أما مقالاته الاجتماعية فكانت تعنى بتنمية الحس الاجتماعي الحضاري وتعالج أمراضه وسلبياته. نشر حوحو عددا كبيرا من المقالات في مجلات محلية ودولية، منها البصائر والشعلة والمنهل السعودية المكية والرابطة العربية بالمشرق وجريدة المنار الأسبوعية، وكان أول مقال له بعنوان "الطرقية في خدمة الاستعمار"، أظهر فيه موقفه الصريح من الاستعمار الفرنسي وأوضح انحيازه للفكر الإسلامي الحديث واتجاهه الإصلاحي. لقد أمد حوحو الصحافة العربية في الجزائر بكثير من المقالات الاجتماعية والنقدية والقصص الخفيفة والصور الصادقة عن واقع المجتمع الجزائري، وكانت سلسلة "البصائر الثانية" قد نالت حصة الأسد من مقالاته، فكان أول مقال له فيها بعنوان "خواطر حائر" تطرق فيه لحيرة الشباب الجزائري من الوضع المزري الذي كرسه الاستعمار، وله مجموعة مقالات أخرى في البصائر منها: في الميزان، ما لهم لا ينطقون، ما لهم يثرثرون¹⁵. كما مارس حوحو أسلوب السخرية في معظم كتاباته الأدبية من ذلك مقالاته في جريدة "الشعلة" وذلك لغرض النقد والإصلاح والتغيير السياسي والاجتماعي، وإرسال رسائل للمستعمر ومؤيديه تخفيا خلف الخطاب الساخر غير المباشر؛ ذلك لأن الكتابة الساخرة من أقوى الكتابات الصحفية التي تشد القارئ بأسلوبها الذي يسعى لتحقير بعض الأفعال والتصرفات لتصل

13- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، ص 278.

14- محمد خان: الأدب الإصلاحي في الجزائر "دراسة تحليلية لأدب حوحو"، الجزء الثاني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الثاني، جوان، 2020م، ص 32.

15- يوسف قنفود وامحمد راوي: مرجع سابق، ص 269 - 270.

تلك الانتقادات للجميع ويرتدعوا ويدعنوا لها وبطريقة غير مباشرة¹⁶. كما أن مقالاته في جريدة "الشعلة" تنازل فيها إلى مستوى قريب من مدارك العامة والدهماء، وتمتاز بالاختصار والبساطة والتنوع والسرعة في الوصول إلى الهدف الذي يريد.

حيث كان الأديب حوحو في أسلوبه وموضوعاته يراعي مستوى كل صحيفة وقراءها، "فالبصائر" مثلا لسان حال الجمعية وخيرة مثقفي العربية، مستواها غير مستوى "الشعلة"، وهذه انتقادية شعبية بالدرجة الأولى بينما البصائر متزنة محافظة تلتزم السلوك الإسلامي والخلق المثالي الذي يتناسب وطبيعة الدعاة المصلحين، وبينما "الشعلة" جماهيرية تهتم بالكادحين والمنحرفين تخاطبهم بما يفهمون، أما "البصائر" فتكتب لطبقات معينة بأساليب معينة تناسبها وتناسبهم، والعجيب في الأديب حوحو أنه يتكيف مع هذه وتلك¹⁷.

2.3. القصة

لقد نهل حوحو من الثقافة الغربية، فتعامل مع فنونها وأدائها بتوجيهها لخدمة أمته، إذ كان يعتبر الفنون والآداب عنوان النهوض والرقى لكل أمة. ولذلك اقتبس وترجم من القصص والأعمال الأدبية والقضايا الهادفة¹⁸. وبرع في مجال أدب القصة التي كان غرضه منها هو التقويم الخلقى¹⁹، ومن أهم أعماله القصصية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- قصة غادة أم القرى: قصة طويلة كتبها حوحو في مكة سنة 1942م ونشرها عام 1947م، تحدث فيها عن المرأة في الجزيرة العربية، وهدف من خلالها إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية عموما، والمطالبة بإنصاف المرأة بإعطائها الحق الذي أقره لها الدين الإسلامي²⁰.

- مع حمار الحكيم: طبع بقسنطينة سنة 1953م²¹، وهو مجموعة مقالات قصصية نقدية في الأدب والسياسة والاجتماع أجراها حوحو على لسان حمار فيلسوف ينظر إلى الناس بمنظار واقعي، واستمدتها من رواية "حماري قال لي" للكاتب المصري توفيق الحكيم، وحاول من خلالها حوحو بأسلوبه الساخر المعتاد في قصصه توجيه رسائل كثيرة أهمها: الكشف عن مخطط الإدارة الاستعمارية في التدمير الممنهج لبنية المجتمع الجزائري من الناحية الفكرية²². ولقد كان القراء معجبين بما يكتبه حوحو من مقالات مع حمار الحكيم التي كان ينشرها في البصائر؛ لأنها تعالج قضايا هامة يعيشها الناس بأسلوب طريف، وقد وفق

16- سكيبة العايد: مرجع سابق، ص 1074.

17- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، صص 27 - 28.

18- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، صص 270 - 271.

19- محمد خان: مرجع سابق، ص 35.

20- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، صص 270 - 271.

21- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 24.

22- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، صص 271 - 272.

حوحو إلى حد كبير في تصوير حياة المجتمع بمختلف قضاياها الهامة في عصره، واستطاع أن يكشف عيوبها ومساوئها وينقدها بأسلوب ساخر، وجرأة قوية.

- الشخصيات المرتجلة: هدف من خلالها إلى إظهار الزعماء الحقيقيين من المزيفين حتى يكون الشعب على بينة من هؤلاء الأعداء²³.

- نماذج بشرية: تعتبر من أشهر مقالاته القصصية، نشرت ضمن سلسلة كتاب البعث التونسية عام 1955م، عبر فيها حوحو عن سموم المستعمر الفرنسي التي بثها في نفوس الجزائريين.

- قصة الفقراء: تطرق فيها حوحو إلى مأساة بؤساء الجزائر الذين انتزعت منهم الإدارة الاستعمارية حق الحياة، وجاءت هذه القصة في إطار دفاعه المستميت عن قضايا المقهورين في الجزائر²⁴.

- قصة سي عزوز: عالج في جزئها الأول جشع المديرين واستغلالهم، والجزء الثاني عالج فيه سرقات النواب.

- قصة عائشة: خصص صفحتين في المقدمة للحديث عن النساء الجزائريات وأوضاعهن الاجتماعية التي لا تقل عن درجة الحيوان²⁵.

3.3. كتاباته المسرحية:

فهي في مجملها تدور حول الإصلاح الاجتماعي، بلغة يفهمها عامة الناس، تدنو من لغة التخاطب اليومي، استخدم فيها الدارجة مطعمة بالأمثال الشعبية، فكانت قريبة من مستوى فهم الجمهور منها: مسرحية "بائعة الورد" و"النائب المحترم"²⁶، ومسرحية عنبسة، ومسرحية البخلاء الثلاثة وغيرها، ولقد نشرت له مجلة المسرح الجزائري التي تحمل عنوان "الحلقة" مسرحية عنبسة في عددها الأول الصادر بتاريخ أبريل 1972م²⁷.

4. أهم القضايا التي عالجها رضا حوحو في كتاباته وموضوعاته

1.4. مسألة الحرية في الجزائر التي ترزح تحت نير الاستعمار

كانت الجزائر تعيش وضعاً مزرياً تحت نير الاستعمار الفرنسي مما جعل أديبنا حوحو يعبر بصدق عن ذلك الواقع، فنجده يركز على ثلاث كلمات وهي: الحرية، العدالة، الإنسانية. فقال عن الحرية: «نرى الديمقراطية المزيفة والحقوق المغتصبة، والمظالم الفظيعة، في هذا القرن الذي سعي كذبا وزورا عصر الحرية والنور، وما هو إلا عصر الظلم والطغيان، عصر

23- محمد خان: مرجع سابق، صص 32-33.

24- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، صص 271-272.

25- محمد خان: مرجع سابق، ص 34.

26- وسيلة خميسات والعيد جلولي: مرجع سابق، ص 295.

27- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 25.

الخداع والنفاق»: لأنه لاحظ في الجزائر وجود مجتمعين مختلفين في كل شيء، مجتمع أوربي في الشمال يتمتع بكل الحريات والحقوق. يقابله مجتمع جزائري لا يجد حتى ما يسد به رمقه، ويستر جسده، وعن ذلك يقول: «نرى إنسانا حرم الحرية بأنواعها يختنق من شدة الضغط لا يكاد يتنفس، وآخر أعطي الحرية مضاعفة حتى وصلت إلى حد الفوضى والعبث بمصالح الأبرياء»²⁸.

ويقارن فيقول:

- السيد يلبس أفخم الملابس، أما الجزائري فيلبس ملابس بالية لا تقيه لا الحر ولا البرد.
- السيد يأكل أطيب المأكولات ويحسد الجزائري على لقمة خبز سوداء.
- السيد يسكن القصور ويستكثر على الجزائري الأكوخ المهدمة البالية.
- السيد يبني أفخم المدارس والمعاهد ويتلقى أرقى العلوم والصناعات، ويحرم الجزائري من أبسط العلوم.
- السيد يفصل دينه ومعابده عن الحكومة، لكنه يرفض ممارسة ذلك مع الجزائري فهو يمسك بمفاتيح مساجدك يفتحها لمن يشاء، ويغلقها في وجه من يشاء²⁹.
- وظل يكافح من أجل حرية المجتمع الجزائري الذي غلب على أمره وتسلسل عليه الاستعمار الفرنسي وكنتم أنفاسه، فنجده يلقي كلمة في هذا الشأن عندما شارك ممثلا للجزائر في المؤتمر العالمي للسلام بباريس سنة 1949م قائلا: «إن الجزائر تتجرع كل يوم ويلات الحرب بشتى الوسائل برغم تطلعها إلى السلام، وإنما لا تريد أن ترى دماء أبنائها تسيل منهمرة، لا تريد أن تخضع لليأس، وألا ترى دموع الثكالي ودموع الأيامى ودموع اليتامى تسيل من أجل تضخيم ثروة الأثرياء، وتوسيع اراضي المستعمرين؛ ولهذا فإن الجزائر لا تحتج على الحلف الأطلسي فحسب، وإنما ترفضه رفضا باتا، إن الجزائر تريد السلام لجميع الشعوب فلا غرابة في أن تريد الحرية والسلام لنفسها، فهي تمد يدها لكل من يريد لها كما يريد لنفسه أن تعيش حرة وأمنة وتموت حرة وأمنة»³⁰.

هذا، ومن القضايا التي تطرق لها حوحو قضية حرية المرأة ومقارنتها بحرية الرجل، فكان من خلال قصة "عائشة" قد أعطى صورة سلبية عن نظرة الرجل الدونية للمرأة بصفة عامة قائلا: «.. عاشت عائشة في محيطها الضيق المظلم، لا تعرف عن العالم الخارجي شيئا، ولا تعرف عن نفسها إلا أنها عورة، يستحي ذويها من ذكر اسمها وأسماء والدتها وعمتها، فهن جميعا يكن نوعا خاصا من المخلوقات لم تفهم كنهه...». لقد أراد حوحو من

28- نور الدين عسال: القضايا الوطنية في كتابات رضا حوحو، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد الأول، العدد الأول، جانفي 2018م، صص 209 - 210.

29- نور الدين عسال: مرجع سابق، ص 210.

30- وسيلة خميسات والعيد جولي: مرجع سابق، ص 294.

خلال إثارة موضوع حرية المرأة المسلمة في المجتمع، أن يبرز حرية المجتمع الجزائري المسلمة بالجملة، والحرمان الذي كان يعانيه المجتمع في التعبير والتفكير أيام الاحتلال بسبب القوانين الجائرة المفروضة والظلم والقهر³¹.

2.4. قضية المرأة العربية والجزائرية:

بما أن حوحو مصلح اجتماعي في أدبه، مسير للحركة الإصلاحية في بلده، وناقد بصير بعيوب المجتمع وأمراضه، خدم شعبه وبلاده بقلمه في قصصه وتمثيلياته، فكثيرا ما كان يركز عن المرأة باعتبارها الركيزة والدعامة لكل مجتمع، فهي المدرسة الأولى للأجيال كلها³²، عندها سعى أحمد رضا حوحو من خلال كتاباته إلى الدفاع عن المرأة بعدما أدرك خطورة الوضع الذي تعيشه مع التقاليد الموروثة البالية التي ساهمت في تحطيم مقامها الاجتماعي بسلبها حريتها، ويظهر ذلك من خلال باكورة أعماله القصصية "غادة أم القرى" عندما كان في الحجاز، حيث صور فيها واقع المرأة الحجازية وما تعانيه وقصد به المرأة الجزائرية، وأخذ حوحو يصور المرأة التي تقع دائما فريسة التقاليد، ضحية للمحافظة تتحكم في عواطفها وتجعلها تعيش في دوامة من الأوهام، وقد مثل ذلك في صورة البطلة زكية والتي جسد من خلالها صورة المرأة من الاضطهاد والاستلاب والخضوع، وبين أن التقاليد تجعل المرأة شيئا جامدا مسلوب الإرادة³³. فالمرأة في منظور حوحو مظلومة لم تأخذ حقها كاملا في الحياة كأخيم الرجل، ومغلوبة على أمرها لذلك وجب مناصرتها والدفاع عنها والأخذ بيدها، وكثيرا ما قال عنها: "هي في رأي الرجل عندنا مجرد معمل للتفريخ... أو عامل بسيط لخدمة البيت، أو هي لعبة الرجل ودميته"³⁴. وطالب حوحو المجتمع بضرورة الاهتمام بالمرأة، ولاسيما في مجال التعليم، وفي رأيه أن المرأة تتجاوز قوتان الأولى سجيئة تقاليد الماضي هي التي تحرمها من التعليم قائلا: «ملفوفة في سوادها أو بياضها تتعثر في أذيالها، لا يعترف لها بحق ولا يعترف لها بمكانة»، أما القوة الأخرى فتريدها سافرة تجوب الأسواق والملاهي دون حياء أو خجل، والحل في رأيه يكون عن طريق اهتمام رجال الإصلاح بالمرأة بتعليمها وتربيتها على مبادئ الإسلام وفق واقع عصرها.

3.4. رأيه وموقفه من أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية:

كان ينتقد السياسة ورجالها نقدا لاذعا؛ لأنه كان يرى أن الشعب الجزائري لم يعد يثق بالأحزاب بسبب صراعاتها الضيقة التي لا تسير طموح الشعب إلى الحرية والاعتناق،

31- يوسف قنفود ومحمد دراوي: مرجع سابق، صص 276 - 277.

32- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 31.

33- حفيظة صابر: صورة المرأة في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، مجلة الفضاء المغاربي، المجلد الأول، العدد السادس، ماي 2017م، شعبان 1438هـ، ص ص 128 - 129.

34- محمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص 31.

ويصف الأحزاب الناشطة في الجزائر بعدم النضج السياسي³⁵، واعتبرها أحزاب مناسبات لا تنشط إلا زمن الانتخابات لتعود إلى سباتها بعد ذلك، فحسب رأيه: «أن السياسة في بلادنا - أي الجزائر- سياسة انتخاب، تنشط وتعمل قبيل فتح الصندوق بأيام، حتى إذا ظهرت النتيجة وفاز من فاز، وخاب من خاب، عاد كل شيء إلى مجراه الأول، عاد النشاط إلى مكمنه، وعاد الحماس إلى مخبئه، وعاد البؤس الذي يضرب الأمة إلى عادته». واتهم حوحو رجال السياسة أنهم يجرون وراء مآربهم الخاصة على حساب مصلحة شعبيهم فقال في هذا الشأن: «فهذا سياسي يغضب لنقدي الخفيف للسياسة، فيحاول إرغامي على توجيه هذا النقد إلى حزب أخصه أو هيئة أعينها وهو يريد أن يستغل هذا النقد وهذا القلم لخدمة حزبه لا خدمة السياسة العامة، وهو يجهل أن هذا القلم شديد العنان، لا يُسخر ولا يُباع مهما غلا الثمن... وهذا سياسي آخر يوجب علي اعتناق حزب سياسي أختاره والأحرم عليا الكلام في السياسة»³⁶. بينما يختلف موقفه مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهو يعتبرها قدمت خدمات جليلة للجزائريين وحملت مهمة نشر الثقافة بين أوساط الجزائريين، فأصبحت مسؤوليتها تجاه المجتمع الجزائري ثقيلة وجسيمة، ففي صحيفة البصائر كان يستमित في الدفاع عن رجال الجمعية ويبرز كرهه الشديد لفرنسا³⁷.

4.4. قضية التعليم:

انتقد رضا حوحو التعليم الرسمي الفرنسي بالجزائر بشدة؛ لأنه رأى فيه تجهيل الناس وليس تعليمهم، وكذلك انتقد الطرق المتبعة في التدريس بالمدارس الأهلية، ويرى أنها تعتمد على الحفظ الذي لا فائدة منه حيث قال: «... حيث إن التلميذ لا يعرف غير الحفظ، والحفظ عنده الوسيلة الوحيدة للتعلم، أما الملكة، أما الذهن، أما الفكر فهذه القوى تكاد تكون عاطلة عن العمل عند أغلب الطلبة». فهو يرى أن التلاميذ يرهقون بحفظ مواد تفوق مقدرتهم العقلية الصغيرة، ولهذا نجدهم يحفظون ثم يستظهرون ذلك دون فهم، أما ملكة التفكير والفهم عاطلة، ولما يكبر التلميذ يصبح: «بليدا عديم الفهم والإدراك، يصعب على المصلح علاجه وهو في سنواته الأخيرة»، وكل هذا النقد الذي وجهه حوحو للتعليم كان بسبب اشتغاله في معهد ابن باديس مما جعله يلتمس مواقع الضعف في المنظومة التعليمية التي أوجدتها فرنسا الاستعمارية³⁸.

كما انتقد أيضا التعليم في المساجد فيرى أنه يلحق للطالب كل شيء: «دون اختيار الصالح من غير الصالح، ودون مراعاة المفيد من غير المفيد»، ويحفظ كل ما قدم له دون

35- نور الدين عسال: مرجع سابق، صص 215 ، 212.

36- نور الدين عسال: مرجع سابق، ص 212.

37- يوسف قنفود وامحمد دراوي: مرجع سابق، ص 275.

38- نور الدين عسال: مرجع سابق، صص 216 - 217.

معرفة الفائدة والغاية من كل هذا الكم من المعلومات، فالعلم في رأيه لم يعد للعبادة والتبرك وحدهما، وإنما أصبح وسيلة حيوية ضرورية لرقى الحياة المعيشية، سواء كانت الحياة فردية أو اجتماعية إنما يتوقف على تقدم الفرد ورفقيه، وما هذا المجتمع إلا مجموعة أفراد، راقياً إن كانت راقية، أو منحطاً إن كانت منحطة. وقدم حوحو حلولاً للنهوض بالتعليم تتضمن برنامجاً دراسياً فعالاً يركز على تربية عقل الطفل في المراحل الأولى من التعليم؛ لأن الحفظ ثم الاستظهار بدون فهم في المراحل الأولى هو: «العلة الوحيدة والداء العضال الذي يضر بالتلاميذ»، فهو يولد فيهم التكلم بدون تفكير، كما اقترح تميم وتشجيع التعليم العربي الذي تمارسه جمعية العلماء المسلمين³⁹.

5. الخاتمة

- تنوعت صور المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي وعرف مطلع القرن العشرين التوجه نحو المقاومة السياسية التي عمت أغلب التراب الوطني ولم يشذ الجنوب الشرقي عن هذا الحراك.
- شهد الجنوب الشرقي ظهور ثلة من الوطنيين ذوي التوجه الإصلاحية ومن أبرزهم المصلح أحمد رضا حوحو.
- ساهم المناخ الأسري المحافظ في توجيه مسار رضا حوحو التعليمي نحو الوجهة الوطنية والصبغة الإسلامية.
- عبقرية حوحو وتميز إنتاجه الأدبي والإصلاحي ساهم فيه انفتاحه وأسفاره التي شملت مناطق عديدة داخل القطر الجزائري وخارجه الأمر الذي جعله يتقلد مناصب هامة ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعليماً وإدارة.
- تنوع وسائل حوحو التوعوية والإصلاحية لمواجهة جرائم الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري فكان من وسائله الصحافة والقصة وغيرها، كما أنه زاوج في أسلوبه بين الخطاب النخبوي الموجه للفتنة المثقفة وبين الخطاب البسيط الموجه للعامة.
- تمسك حوحو بمواقفه الوطنية وسعيه للإصلاح الحقيقي للنهوض بالشعب الجزائري لتجاوز دسائس الاستعمار الفرنسي جعله في مواجهة مع السلطة الاستعمارية التي لم تجد بدا من تصفيته، فكان بحق شهيد القلم والكلمة والحق.

39- نور الدين عسال: نفسه، ص 217.

5. قائمة المراجع

- رمضان محمد الصالح: شهيد الكلمة رضا حوحو 1911 - 1956، وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1984م.
- خان محمد: الأدب الإصلاحي في الجزائر "دراسة تحليلية لأدب حوحو"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، الجزء الثاني، العدد الثاني، جوان، 2020م.
- خميسات وسيلة وجلولي العيد: التجربة النقدية عند أحمد رضا حوحو، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، المجلد 13، العدد 3، التاريخ 2021/09/15م.
- صابر حفيظة: صورة المرأة في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، مجلة الفضاء المغربي، المجلد الأول، العدد السادس، ماي 2017م، شعبان 1438هـ.
- عسال نور الدين: القضايا الوطنية في كتابات رضا حوحو، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد الأول، العدد الأول، جانفي 2018م.
- قنفود يوسف ودرأويا محمد: محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية، مجلد 5، العدد 1، جوان 2021م.